الكلمات الفارسية في الشعر الجاهلي

أنّ هذه المقالة التي نقدّمها الى القرّاء الاعزّاء ، هي في الواقع تقرير موجز عن دراسة واسعة النطاق استغرقت منّي أحدى عشرة سنة ، ترمي الى البحث عن الكلمات الفارسية التي استعملها الشعراء الجاهليون خلال قرنين او ثلاثة قرون قبل الاسلام .

غير أنّ المشكلة الاولى التي يواجهها الباحث هنا ، هي كيفية العثور على كلمات اجنبية في مجموعة شعرية نسبت الى العصور الجاهلية ولم تصل الينا الّا عن طريق النقل الشفوي الذي استمرّ بضعة قرون . فهنا تطرح القضية الاساسية ذات الاهمية الكبرى ، قضية الانتحال التي درسناها في مقال آخر (١) فنكتفي هنا باشارة عابرة اليها : أنّ الباحث اذا ألمّ بالأسئلة التي طرحها المستشرقون في بداية القرن العشرين عن الشعر الجاهلي و صحة انتسابه الى الجاهليين و أمعن النظر في دراسات **طه حسين** المستفيضة التي أثارت رجّة عنيفة لدى جميع ادباء العرب ، لداخله الشكّ في أنّ يستأنف دراسة اساسية في هذا المجال . والحق يقال أن نقد الشعر المعروف عند العرب (٢) قد ترك في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة بحيث نسي نهائيا ، الى أن استأنفه من جديد الباحثون المستشرقون في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ، ثم جاء **مارگليوث** ونشر في سنة ١٩٢٥ مقالته المتطرفة الشديدة النقد فشكّك في صحّة وجود الشعر الجاهلي تشكيكاً ، وأعقبه **طه حسين** و بسط القول في قضية الانتحال بسطا " أكثر سعة و تفصيلا و أبدى

---

١ ــ نگاهي به تاريخچهٔ انتقاد در شعر جاهلي عرب ، معارف اسلامي ، سال ١٣٥٣ ، ش ١٨ ــ ٢٠ .

٢ ــ راجع خاصة : مصطفى صادق الرافعي : " تاريخ آداب العرب " الطبع الثاني ، القاهرة ، ١٩١١ ، ص ٢٧٧ و مابعدها .

آرائه النقديّة في كتابين ظهر اولهما عام ١٩٢٦ و هو يحمل عنوان " في الشعر الجاهلي " ، و ثانيهما عام ١٩٢٧ و عنوانه " في الادب الجاهلي " نشرهما في القاهرة.

ولا غروأننا نعرف تمام المعرفة الردو دَالتي كتبت على هذه الاراء النقدية و مافيها من دراسات و مناقشات علمية واشارات الى المصادر الموثوقة و أدلة تثبت أنّ الشعر الجاهلي قد ضاع اغلبه و لعبت فيه ايدي الانتحال كثيرا " . و لعل هذه المحاولات في سبيل النقد و ابداء الآراء النقدية دعت ادباء العرب الى أن يشعروا ببعض المسائل النقديـة الهامة التي طواهـا النسيان في المجالات الشعرية العربية.

كيف تسربت الكلمات الفارسية الى اللغة العربية:

ان الشعوب التـي قطنت المناطق الايرانية منذ اقدم الازمنة، كانت على اتصال دائم بالأقوام السامية المتوطنة في وادي الرافدين و استمرّت هذه العلاقات الاجتماعيةّ و التجارية و الثقافية و الدينية بين هذين الشعبين على مرّ القرون و الأعصار، و طبيعي أن تؤدّي هذه العلاقات الى أن يتاثر البعض بالبعض و أن يستقي أحدهما من الكلمات والمصطلحات من لغة الآخر. على انه ليس من الممكن أن نحدد بداية هذه العلاقات حيث نعرف عدة كلمات وجدت طريقها الى اللغات السامية القديمة في الألف الثاني اوالثالث قبل الميلاد، ثم تحولت و تغيرت و عاشت في اللغات أحدث عهداً الـى أن وصلت الينا في لغاتنا الحية. فمثلا لفظ الهيكل السومري الاصـل، و لفظتا الدين و الزمان وكذلك الدهر(؟) تكشف عن تاثير ثقافة الشعوب الآرية في الثقافة السامية في العصور التأريخية الاولى. و من هذا النوع من الكلمات ، يجد القارئ في القائمة التي نقدّمها اليه حوالي عشرين كلمة قد انتقلت من لغة الى أخرى و لزمت الشعوب في سفراتها و هجراتها و تطورت من حيث اللفظ و المدلول الى أن استقرت نهائيا في اللغة العربية، و من هذه الكلمات

نذكر مثلا " : **الفردوس**، فهي كلمة سمعها **گزنفون** من الأخمينيين ثم استعملها في الاغريقية، اوكلمة **فدن** و هي معربة عن لفظ **پادانا** الذي كان يطلق على قصر الأخمينيين المعروف .

و اذاكانت هذه الكلمات قد قاومت الأحداث و احتفظت بكيانها عبر القرون ، فالسبب أنها كانت منتشرة في اللغات او اللهجات السامية التي احدثت العربية الكلاسيكية، اوأثرت فيها تأثيراً واسعاً . و هذه الكلمات ، وان كانت اليوم غير مستعملة في هيئتها الأولى ، قددرس اكثرها علماء فقه اللغة و نشروا دراساتهم في المجلات الأوروبية، فهي اذا " كلمات لم تدخل العربية مباشرة من الفارسية الفهلوية، بل اختارت طريقاً غير مستقيمة . ومع ذلك كلمه ، فكثيرا ما يعاني الباحث صعوبة في تحديد الزمان الذي انتقلت الكلمة فيه من الفارسية الى العربية. فيمكن القول بأ لفاظ مثل : **الباطية، المجوس، السوسن ، السربال ، الاترج** فهي من المحتمل أن تكون قد دخلت اللغة الآرامية اولا " ، ثم انتقلت منها الى العربية الكلاسيكية ثانيا " : غير أنه من المستحيل أن نحدد زمن هذه الانتقالات و نحن نعلم أن الآرامية كانت منتشرة في البلاد الايرانية طيلة قرون عديدة .

و من هذه الكلمات التي سمّيناها " المعربات الغير المستقيمة" فئة لانعلم مبداء اشتقاقها عند العرب ، فمثلا " أن الفاظ **الجند ، الكنز ، الزور ، الفصفصة ، الفرانق ، السراج ، الارجوان** كانت كلها منتشرة في الآرامية و العبرية و ليست هناك اية وسيلة تدلنا على التعرف باللغة التي استعيرت منها .

هناك نوع آخر من الكلمات المعربة لم نهتد الى أصلها الايراني القديم ، كما لم يقف الباحثون على أصل موثوق له في اللغات السامية، غير أنّ هذه الكلمات ، في هيئتها الصوتية و تركيب حروفها تدل على أنها تنحدر من اصول غير سامية . و من هذا النوع استخرجنا اربع عشرة كلمة منها : **الديابوذ ، الأرندج ، الأبلق ، النسق ، المستقة ، اللجام ، الجمان ، السفين ، الرواق ، الشيدارة** . ولايخفى ان اكثر هذه الكلمات يعدّها اصحاب القواميس ، كلمات

فارسية معربة.

و الى جانب ما ذكرناه من الكلمات، تحتوى قائمتنا هذه على اثنتين و اربعين كلمه لانشكّ فى أنها تسرّبت من الفهلوية مباشرة الى العربية فى عصر الدولة الساسانية: ولعل الشاعر **الأعشى** هو أول من استعمل، **الخيرى و الخيم و الجلسان و الجل** (بمعنى الورد) فى قصائده بعد ان سمعها فى البلدان الايرانية، و لعل **عدى بن زيد** الشاعر و مترجم بلاط كسرى ايضا كان أول من استعمل كلمه **الدخدار**.

و علاوة على ما ذكرنا فان لدينا كلمات اخرى كـ: **السدير و الخورنق** من اسماء المبانى، او **الخسروانى و كسرى والمرزبان** من ألقاب الرجال، او مصطلحات كـ: **الخوان و الخندق** تختص بالحضارة الساسانية و ليس من الممكن أن نجعل تأريخها اقدم من القرن الثالث الميلادى. و اما الحكم بالنسبة لباقى الكلمات المعربة فلايطمئنّ له الباحث، و لذلك ينبغى ان نستعين بدراسات علم اللغة عامة و علم الاصوات خاصة لنصل الى نتيجة علمية صحيحة لكل كلمة.

و فضلاً عن ذلك، فقط أوردنا فى قائمتنا هذه كلمات معربة ليست فارسية الاصل، و لكنها دخلت الفارسية من لغات أخرى و اصطبغت بصبغة ايرانية، ثم نقلها العرب من الفارسية، و مثال ذلك، كلمات سنسكريتية كـ: **البقم، المسك، السفسير والسمسار، الزنجبيل**، اوكلمات اغريقية كـ: **البربط، الدرهم، النرجس**.

لقد استخرجنا هذه الكلمات المعربة ـ و هى ثلاث و ثمانون ـ التى نقدمها فى القائمة، من قصائد أحد عشر شاعرا" من الشعراء الجاهليين كانوا يترددون الى الحيرة والمدن الكبرى التى كانت تحت سيطرة الساسانيين آنذاك، ونحن نعلم ان الفارسية الفهلوية اما كانت شائعة فى هذه المدن، او تركت تأثيراً بالغاً فى لهجات سكانها، و من جهة أخرى نستنبط من بعض الروايات و الاساطير الجاهلية انّ عددا" من هؤلاء الشعراء كانوا يترددون

بلادا" ايرانية بعيدة عن العربية كل البعد : فعَدِيّ بن زيد العبادي ، يمثّل هذا الجانب احسن تمثيل ، فقد كان هو وابوه وابنه من مترجمي بلاط الساسانيين ، و كذلك الأعشى الذي سافر الى المدائن حسب ما ورد في الروايات الجاهلية .

هؤلاء الشعراء الأحد عشرهم : عَدِيّ بن زيد ، الأعشى ، عَبيد بن الأبرص ، طَرَفة ، المُتلَمِّس ، المُسيّب بن عَلَس ، المُنخّل اليَشْكري ، الأسود بن يَعْفُر ، النابغة عَلْقَمة بن عَبَدة . وأضفنا الى هؤلاء الشعراء العشر ، شاعرا "آخر يبدو أنه لم يكن على اتصال بالبلدان الايرانية او البلدان المتأثرة بالثقافة الايرانية و هو أمرؤ ألقيس الكندي من جنوبي جزيرة العرب . و الغرض من دراسة آثار أمرئ القيس هو أن نقارن بين الكلمات و المصطلحات المشهورة في لغة شعراء جنوب الجزيرة وبين ما كان يستعمله شعراء منطقة بين النهرين . و قد استخلصنا من دارستنا هذه نتيجة ذات اهمية تعتبر في نفسها مسألة غامضة لم يصل الباحثون الى حلّها النهائي حتى الآن ، و هي : ان الكلمات الفارسية المعربة التي استعملها عدِيّ بن زيد ـ وهو مترجم بلاط الساسانيين ـ لا يزيد عددها عن المعربات التي وردت في قصائد أمرئ القيس ملك كندة الذي لم يكن على صلة بالحضارة الايرانية . ويُلاحَظ من جهة أخرى أنّ الكلمات المعربة المستعملة في لغة شعراء الحيرة هي نفسها التي استعملها شعراء البلاد الاخرى من جزيرة العرب ، و قلّما نجد شاعرا" ينفرد باستعمال كلمة فارسية مثل ما نجده في اشعار الأعشى . على أن اجماع هؤلاء الشعراء على وحدة لغوية شعرية مع تباين لهجات قبائلهم آثارَ معضلةً هامةً حاول كثيرٌ من العلماء تحليلها و معرفة اسبابها . لعلّ خوف الشعراء من نقد عارفي اللغة من جهة ، و ولعهم في انتشار قصائدهم من جهة اخرى أثارا هذا الاحترام و الاهتمام المتزايد باللغة الشعرية ، و كان الشعراء يعلمون ان هذه اللغة بالرغم من اشاعتها وانتشارها في انحاء الجزيرة لا يُتقنها الّا اقلية و هم الشعراء والكهان والعراف والامراء ، فالقصيدة لا تحوز قبولَ أشراف العرب و أخيارهم ولا تجد للانتشار سبيلا" الّا اذا نظمت باللغة المشتركة .

مع ذلك كله يجدر بنا أن لانتقد نهائياً احتمال اصلاح متأخر قام بها اللغويون في العصور الاسلامية الاولى.

و اليك قائمة الشعراء و عدد الأبيات المنسوبة اليهم و معرباتها:

١ ـ عبيد بن الابرص : ٦٣٤ بيتا ، ١٥ كلمة معربة،
٢ ـ طرفة : ٤٧٥ بيتا ، ١١ كلمة معربة،
٣ ـ المتلمس : ١٧٦ بيتا ، ٨ كلمة معربة،
٤ ـ المسيب بن علس : ٨٢ بيتا ، ٣ كلمة معربة،
٥ ـ المنخل اليشكري : ٢٣ بيتا ، ٣ كلمة معربة،
٦ ـ الاسودين يعفر : ٩٧ بيتا ، ٥ كلمات معربة،
٧ ـ النابغة : ٦٧٠ بيتا ، ١٢ كلمة معربة،
٨ ـ علقمة بن عبدة : ٢١٣ بيتا ، ١٣ كلمة معربة،
٩ ـ الاعشى : ٢٢٤٣ بيتا ، ٧٨ كلمة معربة،
١٠ ـ عدى بن زيد : ٢٧٢ بيتا ، ١٥ كلمه معربه،
١١ ـ أمروء القيس : ٨٠٨ بيتا ، ٢٤ كلمه معربه،

و تستخرج منها ٨٤ كلمة معربة قسّمناها كما يلي:

١ ـ ١٤ كلمة لم نعثر على أصولها في اللغات السامية و لافي اللغات الايرانية القديمة ولكن ظاهرها يدل على انها عربت عن الفارسية.

٢ ـ ٢١ كلمة تعتبر من أقدم الكلمات الفارسية دخلت اللغات السامية القديمة، ثم تسرّبت منها الى العربية.

٣ ـ ٤٢ كلمة استعارها العرب مباشرة من الفارسية الفهلوية.

٤ ـ ٧ كلمة ليست فارسية الاصل و لكنها دخلت العربية عن طريق اللغة الفارسية.

* * *

قائمة الكلـمات :

١ ـ النوع الاول :

الابلق ،
الارندج ،
الجمان ،
الديابوذ ،
الرسن ،
الرواق ،
السراب ،
السفين ،
السنبك ،
الشيدارة ،
اللجام ،
المستقة ،
النسق ،
الياسمين .

٢ ـ النوع الثانى :

الأُرجوان ، فى الآرامية والعبرية والسريانية
الأُترج ، فى الآرامية ،
البستان ، فى الآرامية و السريانية ،
الباطية ، فى الآرامية ،
الحند ، فى الآرامية و السريانية ،
الدين ، فى جميع اللغات السامية ،
الرازقى ، فى السريانية (؟) ،

الزمان ، فى اكثر اللغات السامية القديمة ،
الزور ، فى الآرامية و العبرية ،
السراج ، فى الآرامية و المندائيه ،
السربال ، فى الآرامية (؟) ،
السوسن ، فى الآرامية ،
الصنج ، فى الآرامية (؟) ،
العَدَن ، فى جميع اللهجات الآراميه ،
الفُرانق ، فى العبرية و السريانية ،
الفردوس ، فى الآرامية و العبرية و السريانية . . . ،
الفصْفصَة ، فى الآرامية و السريانية ،
الكنز ، فى جميع اللغات السامية ،
المجوس ، فى الآرامية و لغات سامية اخرى ،
النمارق ، فى الآرامية ،
الورد ، فى الآرامية و العبرية و المندائية . . .

٣ ـ النوع الثالث :

الابريق ،
الاستار ،
الايوان ،
البازى ،
البنفسج ،
التاج ، (هذه الكلمة كانت معروفة فى الآرامية و العبرية و السريانية غير أنها عرّبت من جديد فى العصر الساسانى .)
الحل ،
الخَلَّسان ،
الجوذر ،

الخز ،
الخسروانى ،
الخندق ،
الخوان ،
الخَوَرْنق ،
الخيرى ،
الخِيم ،
الدَخدار ،
الدخريص (؟) ،
الدرمك ،
الدست ،
الدهقان ،
الديباج ،
الرزدق ،
الزير ،
السدير ،
السرادق ،
السيسنبر ،
الشاهسبرم ،
الشاهنشاه ،
الصرد ،
الصنج ،
الطنبور ،
القُرطق ،
القيروان ،

كسرى ،

المرزبان (هذه الكلمة كانت معروفة فى الآرامية و السريانية، غير أنها عرّبت من جديد فى العصر الساسانى) ،

المرزجوش،

الملاب ،

المُهرَق ،

الناى نرم ،

الوَنّ ،

اليارق .

٤ ـ النوع الرابع :

البربط (من اليونانية) ،

البَقَّم (من السنسكريتية) ،

الزنجبيل (من السنسكريتية) ،

الدرهم (من اليونانية) ،

السفسير او السمسار (من السنسكريتية) ،

المسك (من السنسكريتية) ،

النرجس (من السنسكريتية) .